عدن تشابه أسكندريه البطالمة

أ.د.واثق إسماعيل الصالحي
كلية الآداب /جامعة صنعاء

يطلق مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الاريتري" أو يحبذ بعض الباحثين تسميته "دليل البحر الاريتري" اسم " Arabia Eudaimon" "العربية السعيدة" على قرية أو موضع عدن حيث يشير إلى ذلك (Periplus 26:8.21-22) وبعد اوكليس "الشيخ السعيد" يتسع البحر ثانية إلى ذلك الشرق وتدريجياً ينبسط البحر الفسيح "ويقصد به خليج عدن" (Casson p-158)وبعد نحو 1200 ستاديا تقع "العربية السعيدة" (Periplus 26:8.22-23) على الساحل . ويبدو انه هناك اتفاق عالمي على أن "العربية السعيدة " كانت على موضع عدن أما المسافة 1200 ستادياً فيبدو أنه مبالغ فيها لأن الشيخ سعيد (اوكليس) تبعد مسافة 95 ميلاً بحرياً عن عدن .وهذه التسمية التي يعطيها المؤلف إلى الميناء هي نفسها التي أطلقها الرومان على مملكة سبأ "Arabia Felix"أما بطليموس (7.9 . 6) فيسميها "Arabia Emporium" أي المركز التجاري العربي لأن نشاطها التجاري لمينائها امتد ليشمل بضائع أجنبيه مختلفة مستوردة من الهند ومصر وإفريقيا والعراق ومواد محلية تلك التي تنتجها المناطق الظهيرة وخاصة المواد العطرية واللبان والمر التي امتهنت بتجارتها موانئ اليمن القديم لغرض تصديرها .

وقد عثر على نقش تذكاري في "Koptos" يعود تاريخه إلى حدود عام 70ميلادي (في عهد حكم الإمبراطور فيسباسيان) يستنتج منه أن أسم عدن كان في الاستعمال في تلك الحقبة الزمنية لأن مقدم النقش يطلق على نفسه تسمية "Adaneites" أي مواطن من مدينة "Adane" (نشر النقش من قبل G.wagner في Balletin de institat Feancais d archaologe orientale,76"1976"p . 278 (Casson p.158) وهذا الاسم "Adane" عدن قد أطلق على الموضع في الفترات اللاحقة حيث يسميها (Philostorgius) "Adane" ايضاً وهو الذي كتب تاريخه في الربع الأول من القرن الخامس للميلاد (Hist.Eccl.34) ويبدو انه لم يطلق عليها تسمية أخرى.

وتعد عدن في تلك الحقبة الزمنية ضمن مملكة الملك كرب أيل (periplus,26.8.23) الملك الشرعي لشعبين الحميري والسبئي والذي كان مقر حكمه في ظفار العاصمة ولكن اسم كرب ايل كان اسماً ملكياً شائعاً في نقوش وعلى نقود جنوب الجزيرة ورد منذ القرن الخامس ق.م وحتى زمن كتابه " الطواف" وبعده والذي يشير فيه ايضاً انه كان صديقاً للأباطرة الرومان (على سبيل المثال تيرون وفسباسيان وتايتس) المعاصرين له.

ويصف كاتب الطواف بأن لعدن مراسي مناسبة حصينة تقع بين الجبال والبحر ونتيجة لاختلاف مستوى المياه الساحلية فقد تشكلت تلك الموانئ والخليج الذي تشكل نتيجة "تقهقر اليابسة" وتحرسها جزيرة صيرة من الجهة الشرقية ويذكر أيضاً بأن "مصادر للمياه (في عدن) أعذب من المياه في اوكليس . تلك المصادر لابد أنها كانت صهاريج لحفظ مياه الأمطار والتي كانت تعتمد عليها عدن خلال العصور المختلفة . ويشير إلى أ ن العربية السعيدة (عدن) كانت "مدينة متكاملة في الأيام الخوالى" لأن عدن في هذا الوقت أي زمن كتابه الطواف لم تكن المركز التجاري

لتوزيع السلع لأن موشج (موزع) كان مرسى نشطاً يسيطر على تجارة البلاد وأيضا كان تحت سيطرة كرب أيل.

وأن عدن كانت تمر بحقبة من الإهمال بالإضافة إلى أنها كانت تحاول أن تستعيد مكانتها بعد تعرضها لهجوم مؤخرا.ولكن طبيعة موضع الميناء الذي "يفتخر" بموقعه القوي والحصين ويحتوى على ميناء داخلي ،فلهذا فإن حقبه الإهمال تلك لم تكن بالضرورة طويلة.ويذكر الجغرافي بطليموس(6.7.9) انه في أيامه كان ميناء عدن قد استعاد نشاطه ثانية .وعند Philostorgius إشارة إلى انه في منتصف القرن الرابع الميلادي كانت السفن الرومانية بصورة اعتيادية تقف فيه وتمارس نشاطها التجاري المعتاد (Hist. Eccles.3.4) وهذا ما أكده الإدريسي الذي كتب في منتصف القرن الثاني عشر عند وصفه لعدن بأنها نقطه المغادرة للسفن التي في طريقا إلى الهند والصين.

ويستمر كاتب الطواف في وصفه للنشاط التجاري لميناء عدن ويشير إلى أن السفن التجارية من الهند لا تبحر مباشرة إلى مصر وكذلك السفن التي من مصر لا تجرؤ على الإبحار إلى مواضع أبعد بهذا الاتجاه إي إلى "الهند" ولكنها تصل إلى هذه المنطقة (أي ميناء عدن) – وكانت تستلم البضائع من كلا الجانبين – أي استيراد البضائع كالأقمشة بأنواعها من الثياب الاعتيادية والمطرزة والزعفران والمراهم والعاج والفخار ومواد متنوعة ، ومن الهند فخار وزيت السمسم وتنتج المناطق الظهيرة المر وأسلحه ونبيذ واللبان وأغلفة السلاحف وفي هذا السياق ذكر أن عدن تشبه الإسكندرية لانها كانت تستورد البضائع من الخارج (من موانئ البحر المتوسط المختلفة) ومن مصر أي المنتجة في مصر .وكما هو معروف أن الاسكندر المقدوني قد اجتاح مصر في شتاء عام 332ق.م وأسس مدينة جديدة على النيل وأطلق اسمه عليها (الإسكندرية) في ربيع عام 331ق.م (Walbank,p32)وهي المستوطنة الوحيدة التي أسسها غرب دجلة والتي أصبحت من أهم أشهر المراكز للإمبراطورية الرومانية ا للاحقة والإسكندرية العاصمة المركز الإداري للبطالمة وغالبية سكانها من الإغريق والمقدونيين وسكنها أيضاً المصريين وجالية يهودية وقد ضمت القصر الملكي وسكن الوزراء ولكن عند مقارنتها لما عثر عليه في مصر العليا والفيوم حيث لم تكشف معاول المنقبين عن معالمها وآثارها ويعزى السبب إلى التربة الرطبة التي دمرت البرديات خاصة .وسيطرت الإسكندرية على الحياة الفكرية للعالم الإغريقي خاصة خلال حكم البطالمة الثلاث الأوائل وذلك بفضل تأسيس Museonوالذي هو معبد الالهه Muse وكذلك المكتبة .وتشير بعض المصادر إلى أنفاق أموال طائلة لغرض شراء الكتب وجذب الباحثين إلى الإسكندرية والتي ضمت مكتبتها أكثر من 500,000 من اللفائف .و Museon كان معهداً للبحث وقد شجع الأبحاث الخاصة بالفلسفة (Walbank,p113)

ثم ذكر مؤلف "الطواف" عبارة أثارت جدلاً واسعاً بين الباحثين وهي " غير انه ،وليس بعيداً عن زمننا هذا ،نهبها قيصر" وأن الهجوم الروماني الوحيد المعروف على جنوب الجزيرة العربية هو الحملة التي قادها ايليوس جالوس، الحاكم الروماني لمصر وبأمر من الإمبراطور أغسطس، تلك الحملة التي توقفت بعيداً قبل وصولها إلى المنطقة المجاورة لعدن.ولهذا فإن العبارة القصيرة تتضمن لغزاً والتي أثارت نقاشات عديدة. ويبدو أن المعلقين والمترجمين الأوائل حوروا في النص فاستبدلوا اسم قيصر باسم حاكم محلي اسمه "اليزار" "اليعازر" Muller,Fabricas أو باسم كرب ايل (Glaser,schoff) أما الباحثون اللاحقون فكانوا آمل حدة فأحد الآراء التي طرحت يستخدم فيه إشارة غامضة في بلني إضافة إلى مناقشات حول سياسة الأباطرة الرومان الخارجية المفترضة اتجاه الشرق

ويشير إلى ضرورة حدوث هجوم روماني على المدينة ، ولكن لا يوجد اتفاق حول اسم القيصر المسؤول عن الهجوم على المدينة ولهذا فقد تعدد ايضاً الزمن الذي حدث فيه الهجوم على المدينة أما في زمن أغسطس ،أو جايوس ،أو كلوديوس أونيرون ،أو حتى في زمن تراجان أو ستبميوس سفيروس ويبدو أن لكل منهم آراء تدعمه .والرأي الأخير يذكر أن ما ورد في "الطواف" لابد أنه يشير إلى حملة جالوس ولكنه قد يعكس عدم إدراك فإن جالوس قاد قواته إلى منطقة تسمى ""Eadaimon Arabia "العربية السعيدة" ولكن في الوقت الذي دوُن فيه "الطواف" ربما بعد قرن من الزمن فإن ذكرى ذلك الهجوم أصبحت ضبابية ولهذا فقد افترض أن الحملة قد وصلت إلى المدينة التي تحمل نفس الاسم (Rodinson,p.233-237)

ومن الواضح أنه في زمن "الطواف" كانت المدينة تقريباً مهجورة والسبب في ذلك يعزى إلى الفقدان الكلي للتجارة التي تمتعت بها كمركز تجاري لتوزيع السلع قبل أن يقوم البحارة من مصر الرومانية بالإبحار مباشرة إلى الهند . ويبقى السؤال قائماً حول المدى الذي أثر فيه الهجوم العسكري،ومهما يكن من أمر فقد استعادت عدن مركزها السابق في منتصف القرن الرابع الميلادي .

Refrences:

1. Casson ,L; the Periplus Maris Erythraei, Princeton University press, Princeton, New Jersey, 1989.
2. Philostorgius, Hist. Eccles. In Casson.
3. Ptolomy, the Geography of Claudias Ptolomy, translated by Stevenson, N.Y. 1932.
4. Wagner, G. Bulletin de l'Institute francais d'archeologe orientale, 76(1979) p.278.
5. Walbank, F.W. the Hellenistic World, Great Britain. 1981.